فكاهات (١)

نقطة حبر

حدَّث فرنسويٌّ عن نفسهِ قال . عند ما كان عمري اربعاً وعشرين سنة تعشقت ممثلةً باريسية من الطبقة الثالثة تدعى لورنس بريفال واشتدّ تعلقي بها وهيامي في حبها حتى صار لا يطيب لي عيشٌ الا بقربها . وفي ذات يوم جرى بيننا عتابٌ أفضى الى الجفآء فنفرت عني نفار الغزال الشارد وقد آلت على نفسهـا ان لا تلقاني بعد ذلك ابداً وخلفتني صريعاً دامي القلب ذاهل العقل والخاطر . فاستعنت بالصبر على صدودها ثم خرجت من باريس الى بلدةٍ بضواحيها كانت جدتي مقيمةً فيها فنزلت عندها رجآء ان استعين بالبعد على سلوّ الحبيبة او اضرم نار شوقها اذا راجعت نفسها فيّ وعاودها ما كان عندها من الشغف بي فلا تلبث ان تبعث اليّ برسالةٍ تجدد فيهـا عهد المودّة وتقول « عد فقد عدنا » . واتفق ان خالاتي وبناتهنّ كنّ اذ ذاك في بيت جدتي فاحتفينَ بي ايما احتفآء وغمرنني بلطفٍ يُنسي الحبيب حبيبهُ . وكان بين بنات خالاتي واحدةٌ تدعى ايفون يطلع نور النهار من جبينها وتغيب شمس الحسن في وجناتها فلو لم اكن عاشقاً لعشقتها ووهبتها روحي وكلي . فقضيت الايام الأُوَل وانا منشرح الصدر بنسيم الخلآء متمتعٌ بلذة الفراغ من مهمات الاشغال ووردتني رسائلي وجرائدي من باريس فلم

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم خليل افندي الجاويش

اجد بينها الرسالة المنتظرة ثم عبرت ايام ودرجت ليالٍ ولسان حالي ينشد الحبيبة قول الشاعر

خبروها بانهُ ما تصدَّى لسلوٍّ عنها ولو مات صدَّا

ولما رأيت انها باقية على جفآئها نفد صبري ووهن جلدي واحرقت نار الصبابة كبدي فعزمت على طلب الصفح من حبيبتي واسترضآئها عني ولذّ لي « خضوعي لديها في الهوى وتذللي » وان تكن هي الجانية المسيئة وانا المجنيُّ عليهِ والمُسآء اليهِ . فدخلت غرفتي وسطرت رسالة طويلة املاها عليَّ جنون الحبّ فملأتها اسفاً واعتذاراً وتوسلاً والتماساً ووعوداً واقساماً وتذللت ما شآء الهوى وشآء الجنون حتى كأنني اكتب وانا محمومٌ يهذي او مدنفٌ اضاع السقم رشدهُ فلا يعقل ولا يهتدي . ولما فرغت من الرسالة وهممت بالتوقيع ارتجفت انامليَ فارتجّ رأس القلم ووقعت منهُ على طرف التوقيع نقطة حبر شوّهت وجه الكتاب . ففتق لي عقلي — ان كان قد بقي لي عقل اذ ذاك — ان انسخ الرسالة على رقعةٍ اخرى لئلا تكون هذه البقعة سبباً في زيادة غضب العشيقة وتسويد صحيفتي لديها . ثم قلت في نفسي انني اذا أعدت كتابة الرسالة فربما خطر لي ان اغير فيها وابدّل بعد ان افرغت فيها جراب عواطفي الصحيحة دون تكلف ولا تصنُّع فتضيع بهجتها ويذهب شيءٌ كثير من رونقها فصممت على ازالت البقعة . ولما لم اجد على المائدة التي امامي شيئاً من ادوات المحو دعوت ابنة خالتي ايفون فجآءت فطلبت منها قطعة من الصمغ الهندي او مديةً صغيرة فهرولت الى غرفتها وعادت اليَّ بحفنةٍ من الماحي والورق النشاف ثم ألقت نظرها على

بقعة الحبر وقالت بكلامٍ يسيل رقةً هل تأذن لي في ان اتولى ازالتها عنك . فقلت ذاك اليكِ . فانحنت على المائدة وشرعت في العمل وكانت الشمس تاقي من النافذة اشعتها الذهبية فتزيد وجهها جمالاً وشعرها بهآءً . وبينما كنت اتأمل في غدائرها الشقرآء اخذت اسائل نفسي واقول اين من هذه الغدائر الذهبية شعر لورنس الذي تصبغهُ كل يوم بلون ومالي لا اميل الى هذه الفتاة التي محاسنها من صنعة الله لا من صنعة البشر والتي

كانها أُفرغت من مآء لؤلؤةٍ في كل جارحةٍ من حسنها قمرُ

وما زلت مستغرقاً في تأمل محاسنها وبدائع صورتها وخفة حركاتها ورشاقة قامتها حتى ذهب عن ذهني ذكر عشيقتي ونسيت رسالتها وشعرت أن شيئاً كالسحر قد سطا على لبي أو كالخمر قد دبّ في اعضآئي وتمشى في مفاصلي واصبحت كلما زدتها نظراً زادني وجهها حسناً . حتى اذا افقت من هذه السكرة اللطيفة ولا اعلم كم دامت انحنيت على كتف الفتاة لارى ماذا فعلت بالبقعة فرأيت محلها دمعةً كانها دُرّةٌ ذائبة قد سقطت من اجفانها الذابلة فايقنت انها قرأت الرسالة وفهمت معناها فبكت فبكيت معها وضممتها الى صدري ثم تناولت الرسالة فمزقتها

وبعد شهرٍ زُفّت اليّ ابنة خالتي وصار فؤادي معبداً مقدساً لحبها الطاهر بعد ما كان مسكناً لتلك الحظيّة التي كانت اعظم منها عليّ نقطة الحبر بعد ذلك الجفآء والهجر

المرأة والحية

زار طبيبٌ فرنسويّ منذ مدة احد اصدقآئهِ فرأى عندهُ جماعةً من الرجال والنسآء قد تكوّفوا حول امرأةٍ تتبين بخت الانسان من خطوط راحتهِ فجلس ساكتاً ينظر حتى اذا ذهبت المرأة التفتت اليهِ غادةٌ حسنآء من الحضور وقالت لهُ لِمَ لم تشاركنا ايها الدكتور في مدّ راحتك الى هذه العرّافة ام ان علمك الواسع منعك من الاشتغال بالخزعبلات والوساوس . فقال لا وانما حدث لي وانا في السادسة عشرة من عمري حادثٌ هائل كاد يذهب بحياتي وذلك على اثر نبوءةٍ تنبأت لي بها احدى اولئك النسوة اللواتي يحزرنَ الحظوظ من رؤية ما في الاكف من الخطوط . فانها تفرست في راحتي ثم قالت لي « ان المرأة والحية خدعتا آدم وذهبتا بسعادتهِ وغبطتهِ فاحذر المرأة وتوقَّ الحية فانهما ستتحدان على اهلاكك اذا لم يحمك الحديد منهما » ثم مضت في طريقها . وبعد ست سنوات تمت هذه النبوءة الغامضة وذلك انني تعرفت مع بعض اترابي بفتاةٍ من بوهيميا تدعى دورا أتت البلدة التي كنت اتعلم الطب فيها واتخذت محلاً تُري الناس فيهِ حياتٍ وافاعي متنوعة الاشكال تلعب وترقص على حركاتٍ منها غريبة . وكانت هذه الفتاة باهرة الحسن فتانة العينين تسحر الناس بالحاظها كما تسحر الحيات بحركاتها ولا سيما حينما ترتقي على الدكة لتمثيل العابها وهي لابسة ثوباً شفافاً مرقطاً بالذهب منقطاً بقطع صغيرة من انواع المعادن والزجاج حاسرة عن ساعدين كانهما من المرمر وعمرها لا يزيد عن عشرين سنة

وكنت اذهب مع رصفآئي كل ليلة الى ناديها فنلغط ونصخب ونجمع لها الناس من اطراف المدينة فمالت الينا واحبتني انا على الخصوص وقد شُغف قلبي بحبها حتى كنت لا افارق النادي الا بعد ان ينصرف الحضور كلهم . وفي ذات ليلةٍ خطر لاحد رصفآئي ان يحقن احدى الحيات الكبيرة بمادة الكافيين قصد تنبيهها وحملها على ان تثب وتتلوى كانها في الغاب ففعل وارجعها الى مكانها وبعد ان انتفضت قليلاً من ألم الحقن عادت الى سباتها وجمودها . ثم ذهب رفاقي وبقيت انا وحدي مع الفتاة فانتهزت الفرصة واخذت اداعبها تحت جنح الظلام فما شعرنا في خلال ذلك الصفو واللهو الا والحية قد طوقتنا نحن الاثنين كانها حبل طويل ثخين قد لُفّ علينا كلينا وشدَّهُ ساعدٌ مفتول فايقنت ان الكافيين هو الذي شدد اعصابها بل جعلها شبيهة بالسكرى لا تفرق بين صاحبتها وبين الغريب . فصحوت من سكر الهوى وادركت ما وقعنا فيهِ من الخطر اما الفتاة فلم تنطق ببنت شفة وفارقتها قوتها ومنعها الظلام من القآء نظرةٍ على الحية تزجرها بها فتعود الى مقرّها وهكذا ظلت الحية تعصرنا معاً حتى بتنا كاننا بين سندان ومطرقة او بين اسنان آلة ضاغطة وتيقنّا اننا هالكان لا محالة وكنت اشعر بان اعضآء الفتاة تتقصف كالاغصان واعصابها تتفلت كالخيطان ثم تذكرت ان محفظة آلات الجراحة في جيبي ولكنني لم استطع ان اتناول منها مشراطاً لان ذراعيّ عاجزتان عن اتيان حركةٍ ما حتى اذا اوشكت ان اغيب عن رشدي وكانت الحية قد تعبت من الشد والعصر تناولت مبضعاً وغرزتهُ في لحمها ثم أُغمي عليّ من شدة الجهد فلم اعد اعي شيئاً .

ولما افقت رأيت الفتاة دورا جثةً هامدة الى جانبي والارض ملطخة بدم الحية وفي رأسي بضع شعرات بيضآء وهكذا تمت نبوءة العرّافة

اختيار غريب

كان في احدى قرى فرنسا فتاةٌ حسنآء تدعى مادلين ديرون لها شقيقةٌ اكبر منها تدعى جوليا قبيحة الصورة بقدر ما كانت اختها مادلين جميلة مليحة كأن الطبيعة ارادت ان تمثل بهما منتهى الجمال والقبح وكانت جوليا فوق قبح صورتها حدبآء تمشي على عكاز . وكانت الاختان يتيمتين وقد وجدت جوليا بعد وفاة والدتها صكاً توصيهما فيه بان لا تفارق احداهما الاخرى وتوصي جوليا بان تعتني باختها مادلين وتسهر على تربيتها وتوصي مادلين بان تبقي جوليا عندها اذا تزوجت وبغير ذلك لا تستريح هي في ضريحها ولا تنزل السكينة على روحها . فعند ما كبرت مادلين اطلعتها جوليا على هذه الوصية فبللتها بدموعها واقسمت انها تتبع قول والدتها الى آخر دقيقة من عمرها . وكانت الفتاتان ساكنتين في بيتٍ حقير ولهما قطعة ارض تعيشان من ريعها

ولما بلغت مادلين السنة التاسعة عشرة من عمرها حام عليها الخطّاب كما يحوم النحل على الخلية فكانت تأبى ان يخطبها احدهم مع الحاح اختها عليها بالقبول . وكان في عداد هؤلآء شقيقان يدعى احدهما اوغست والآخر جورج هنريكس لقيا مادلين في حفلة رقص فعشقاها من اول نظرة وعلم كلٌّ منهما بعشق الآخر ولكن الحب الاخوي منع وقوع الغيرة والحسد

في قلب احد منهما فتركا الفتاة وشأنها تصطفي ايهما تحبهُ وتميل اليهِ . ثم اخبرا والدتهما بالامر ورغبا اليها ان تفاتح شقيقة المحبوبة بامر الخطبة فاستآءت وعارضت حذراً من ان يفضي ذلك الحب الى التباغض وينجم عنهُ في بيتها شقاق او جفآء فاشارت على ولديها بان يعدلا عن عزمهما ويرحلا عن البلدة الى ان تتزوج مادلين بغيرهما فيعودان اليها . فابيا الامتثال لاشارتها والحب اعمى كما يقال . اما مادلين فكانت قد مالت الى الزواج وعلمت بحب الاخوين اياها ورأت الاثنين يصلحان لها فحارت في اختيار احدهما زوجاً ولكنها جعلت اختيارها موقوفاً على من يودّ شقيقتها اكثر من الآخر ويرغب في ان يأخذها الى منزلهِ لتبقى مع زوجتهِ حتى كانهُ يتزوج الشقيقتين وان اختلف وجه الزواج . وما زالت بين ترددٍ وحيرة يوماً تقول اتزوج اوغست لانهُ شجاع حازم ويوماً تقول افضل اخاهُ جورج لانهُ رقيق القلب لين الطباع . حتى اذا كان احد الايام قالت لاختها جوليا غداً نذهب الى بيت مدام هنريكس فاذا فاتحتكِ في امر الخطبة فأعلميها بانني قد اصطفيت جورج . وكان بيت السيدة المذكورة في طرف القرية وتحتهُ بستان واسع ووراء البستان مروج وغياض وكانت جوليا ومادلين كلما ذهبتا لزيارتها تسيران في تلك الغياض وتدخلان البيت من باب البستان . فلما اقبلتا في اليوم التالي كانت الوالدة وولداها ينتظرونهما امام سور المنزل فبينما كانت الفتاتان آتيتين من الطريق المذكورة اذ خرج من تلك الغياض ثورٌ هائل واقبل يقصد الجهة السائرة فيها جوليا ومادلين فعند ما بصرتا بهِ انخلعت قلوبهما وانحلت ركبهما من فرط الهلع والرعب فامسكت مادلين

بذراع جوليا وحاولت ان تفرّ معها من وجه الثور فلم تستطع جوليا ان تسرع الخطى معها فصاحت بها انجي بنفسكِ يا حبيبتي ودعيني وحدي . فحاولت مادلين ان تحملها فخانتها قواها وكان الثور قد اوشك ان يصل اليهما والزبد على فمهِ والشرر يتطاير من عينيهِ فصرخت مادلين مستغيثة لخلاص شقيقتها وما كاد يُسمَع صوتها حتى رأت نفسها محمولةً بين يدي جورج كعصفورةٍ في يدي طفلٍ وكان اخوهُ اوغست قد انقضّ كالصقر على الثور الهاجم فاشتد هياجهُ واقتحم لينطح الفتى ولكن هذا كان اسرع من البرق فطعنهُ بمنجلهِ طعنةً ألقتهُ صريعاً ثم حمل جوليا وهي مغمىً عليها واسرع بها الى منزلهِ كاسدٍ داخل بفريستهِ الى عرينهِ

وبعد ان انقضت الحادثة واجتمع الكل في ردهة المنزل جرى الحديث في امر الخطبة فنهضت مادلين ومآء البشر يترقرق في جبينها وسارت نحو اوغست ووضعت يدها الصغيرة المرتعشة في يدهِ التي كانت لم تزل ملطخةً بدم الثور ثم قالت لهُ شكراً لك عن جوليا ايها البطل الهمام . فلم يلبث بعد ذلك ان عُقد لهُ عليها ورحل اخوهُ جورج الى باريز بعد ان هنأ اخاهُ بنصيبهِ وهناك دخل في جيش الاحتلال الذاهب الى تونكين لانهُ ايقن بعد الذي جرى ان حب الوطن هو الحب الذي يجب ان يحلّ فؤادهُ . وعاش اوغست ومادلين على اتم السعادة والصفآء ولم يبرحا كذلك الى ان وافاهما هادم اللذات ومفرّق الجماعات